رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ فِيلِبِّي

كما يراه بولس

تأليف: دفيد روبر

❋ فيلبي ١: ١٢-٢٠

ربما سمعت القول المأثور: «عندما تعطيك الحياة ليمون، أصنع منه ليموناضة[١]». هذا مثال توضيحي حي: عصير الليمون بحد ذاته حامض، ولكن عند إضافة القليل منه إلى الماء البارد والسكر، يكون الحاصل هو ليموناضة، وهو شراب منعش. هذا التشبيه مناسب. «تعطينا» الحياة أحياناً «ليمون» (ظروف سيئة). عندما يحدث هذا، نحاول أن نتحمل الوضع – أو نحاول أن نجد ما هو خير فيه: أي نحاول صنع «اليموناضة» مما هو متوفر لدينا من «الليمون».

ربما لم يكن بولس قد سمع هذا القول المأثور، ولكنه كان يؤمن بالفلسفة من مثل هذا القول. أُعْطِيت لبولس منذ أن أصبح مسيحياً «حمولة عربة» من «الليمون» {أي ظروف قاسية}. ورد بكتاب أعمال الرسل بعض من سوء المعاملات التي تلقاها (راجع أعمال ٩: ١ إلى ٢٣: ١١)، ولكن هذا مجرد جزء قليل مما تحمل من أجل الرب (راجع ٢ كورنثوس ١١: ٢٣-٣٠). وكان إذلاله الأخير هو سجنه غير المستحق. كان قد قضى سنتين في قيصرية (راجع أعمال ٢٣: ١٢ إلى ٢٦: ٣٢). بعد ما رفع دعواه إلى قيصر (أعمال ٢٥: ١٠-١٢)، أُرْسِل إلى روما (راجع أعمال ٢٧: ١ إلى ٢٨: ١٥). عندما كتب بولس إلى أهل فيلبي، كان في السجن لمدة سنتين حتى ذلك الحين في روما (أعمال ٢٨: ٣٠؛ راجع ٢٨: ١٦-٣١). (هناك بضع تفاصيل في هذه الرسالة تشير إلى انها كُتِبَت تقريباً عند نهاية فترة سجن بولس الأول في روما، بما في ذلك الحقيقة أن بولس كان يتوقع إطلاق سراحه قريباً {٢: ٢٤}).

إشتاق بولس إلى الذهاب إلى روما كمبشر (رومية ١: ١٠، ١١، ١٣؛ ١٥: ٢٢-٢٤)؛ ولكن بدلاً من ذلك، ذهب إلى هناك سجيناً! بينما قد يمتليء آخرون بالشفقة على النفس في مثل هذه الحالة، إلا انه لا يظهر أي تلميح إلى المرارة من جانب بولس في النص الذي نحن بصدده.

كيف استطاع بولس أن يأخذ «ليمونه» ويصنع منها «اليموناضة»؟ تكمن الإجابة في سلوكه نحو كل ما حدث له. نعم لقد تحدثنا عن أهمية نمو السلوك الصحيح، ولكننا سنرى هذا مراراً وتكراراً في دراستنا لهذه الرسالة إلى أهل فيلبي. بمفهوم ما، هذه الرسالة هي عن الحاجة إلى السلوك {أي الـ«فكر»} المناسب:

> فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا (٢: ٥).
>
> فَلْيَفْتَكِرْ هذَا جَمِيعُ الْكَامِلِينَ مِنَّا، ... (٣: ١٥).
>
> أَخِيرًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ كُلُّ مَا هُوَ حَق، كُلُّ مَا هُوَ جَلِيلٌ،

[١] ليموناضة: عصير الليمون المحلَّى.

كُلُّ مَا هُوَ عَادِلٌ، كُلُّ مَا هُوَ طَاهِرٌ، كُلُّ مَا هُوَ مُسِرٌّ، كُلُّ مَا صِيتُهُ حَسَنٌ، إِنْ كَانَتْ فَضِيلَةٌ وَإِنْ كَانَ مَدْحٌ، فَفِي هذِهِ افْتَكِرُوا (٤: ٨).

لو كنت شاهدت بولس في روما، لرأيت مبشر شيخ مقيد بسلاسل. إقرأ الرسالة إلى فليمون ٩، وأعمال الرسل ٢٨: ٢٠، وأفسس ٦: ٢٠. الكلمة اليونانية («هالوسيس ἅλυσις») المترجمة إلى «قيود» في اثنين من هذه النصوص تعني «السلسلة القصيرة التي كانت تُقيد رسغ السجين مع رسغ العسكري الذي يحرسه، حتى يكون الهروب أمراً مستحيلاً»[٢]. عندما تتأمل في قيود بولس والإهانات الأخرى التي حدثت له، قد تهز رأسك دلالة على التعاطف أو الغضب. ولكن حول انتباهك عما يُرى: قلب بولس. عندما نظر بولس إلى حالته هذه، لم يرى مأساة. ولم يعتبر نفسه ضحية، بل منتصراً.

ما نطالب به في هذا الدرس هو أن تكون نظرتنا كنظرة بولس لتلك الحالة. عندما نفعل هذا ربما سنتعلم شيء عن رؤية الحياة بطريقة إيجابية.

رأى تقدم دعوى الله (١: ١٢-١٤)

لقد وصلنا إلى نص رسالة بولس هذه. كان من المعتاد أن يبدأ نص الرسالة بمذكرة شخصية بما فيها حالة الكاتب. بدأ بولس نص هذه الرسالة بمعلومات شخصية، بمفهوم ما. ولكن ليس كثيراً، لم يكن ينظر إلى نفسه، بل إلى يسوع وإنجيله.

بدأ قائلاً: «ثُمَّ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ ...» (الآية ١٢). يحب بولس استخدام كلمتي «أخ» و«إخوة» انهما تعبران عن علاقة أسرية. وقد أُسْتُخْدِمَت هاتين الكلمتين مئة وثلاثين مرة تقريباً في رسائله، ووردت تسع منها في هذه الرسالة القصيرة: (١: ١٢و١٤؛ ٢: ٢٥؛ ٣: ١، ١٣، ١٧؛ ٤: ١، ٨، ٢١).

استمر قائلاً: «... أَنَّ أُمُورِي قَدْ آلَتْ أَكْثَرَ إِلَى تَقَدُّمِ الإِنْجِيلِ». تشمل كلمة «أُمُورِي» هنا على كل ما عانى منه بولس في الماضي وما يتحمله حاضراً {أي أثناء كتابة هذه الرسالة}. وقد صرف النظر عن كل هذا بكلمة واحدة فقط: «أُمُورِي».

لم يكن يفكر بالمشاكل، بل بالتقدم: «تَقَدُّمِ الإِنْجِيلِ». كلمة «إنجيل» هنا مترجمة من كلمة يونانيةَ مركبة («يوانجليون εὐαγγέλιον») معناها «بشارة»، أي «خبر سار».

عندما تحدث بولس الرسول عن تقدم الإنجيل، استخدم كلمة رائعة. الكلمة اليونانية المترجمة هنا إلى «تَقَدُّم» هي كلمة مركبة «پروكوپي προκοπή» وتعني في الصيغة الفعلية {پروكوپتين προκόπτειν} «يقطع إلى الأمام»[٣]. كانت هذه الكلمة تُستخدم أصلاً للإشارة إلى رائد أو مكتشف يقطع طريقه من خلال الأدغال»[٤]. كانت تستخدم هذه الكلمة أيضاً لوصف عمل سلاح المهندسين الذي كان يذهب أمام الجيش لقطع الأشجار والأدغال المتشابكة التي قد تعوق تقدم الجيش[٥]. وهذا يفتح عادة منطقة جديدة[٦]. كان سجن بولس «يمهد الطريق» للإنجيل!

إتصال مع الضالين

أعطانا بولس مثالين للتقدم الذي أحرزه الإنجيل بسبب سجنه. الأول هو الإتصال مع الضالين. كان بولس قد وجد فرص رائعة لتبشير الإنجيل منذ القبض عليه في أورشليم. كان قد بشر مجلس اليهود وولاة

---

[٢] وليم باركلي في تفسيره للرسالة إلى أهل فيلبي بعنوان «The Letters to the Philippians, Colossians, and Thessalonians» (الطبعة المنقحة ١٩٧٥، صفحة ٢٢.

[٣] دبليو إي فاين في تفسيره بعنوان «The Expanded Vine's Expository Dictionary of New Testament Words» تحرير جون آر كوهلنبرغر الثالث مع جيمس سوانسون، صفحة ٤٦٨.

[٤] المرجع السابق.

[٥] وليم باركلي في تفسيره للرسالة إلى أهل فيلبي بعنوان «The Letters to the Philippians, Colossians, and Thessalonians» (الطبعة المنقحة ١٩٧٥، صفحة ٢٠. وأفون مالون في كتابه بعنوان «Press to the Prize»، صفحة ٣٥؛ وشارلس سويدول في كتابه بعنوان «Laugh Again»، صفحة ٥٣؛ ووارن ويرسبي في تفسيره بعنوان «The Bible Exposition Commentary» المجلد الثاني، صفحة ٦٧.

[٦] قد تجد مثال توضيحي لهذا حسب المكان الذي تعيش فيه لسلاح المهندسين الذين يذهبون أمام الجيش لإعداد الطريق (بما في ذلك نصب الجسور والمطارات المؤقتة) . مثال آخر هو تمهيد الطريق خلال الغابة لكي يمر به آخرون.

الرومان وكبار المسؤوليين آخرين، بما فيهم ملك (أعمال ٢٣: ١؛ ٢٤: ١٠، ٢٤، ٢٥؛ ٢٥: ٢٣؛ ٢٦: ١). ولكن لم تكن أي من هذه الفرص أكثر فائدة لبولس مما أُتِيْحَت له عندما كان مقيد بسلسلة مع الجنود في روما. (راجع أعمال ٢٨: ١٦). بعد ما تحدث بولس عن «تَقَدُّمِ الإِنْجِيلِ» (فيلبي ١: ١٢)، قال: «حَتَّى إِنَّ وُثُقِي صَارَتْ ظَاهِرَةً فِي الْمَسِيحِ فِي كُلِّ دَارِ الْوِلاَيَةِ ...».

مع انه صحيح أن الإنجيل وصل الى قصر قيصر، إلا أن معظم علماء الكتاب المقدس يعتقدون أن الكلمة اليونانية المترجمة في الآية ١٣ إلى «دَارِ الْوِلاَيَةِ» تشير إلى «حراس دار الولاية» أو «الحرس الأمبراطوري» كما وردت بترجمة كتاب الحياة[٧]. وكان هؤلاء النخبة من العسكر الأفضل في جيش روما، أي القوات التي يتكون منها الحرس الأمبراطوري في روما. كان يقدر عددهم بعشرة آلاف من القوات الإيطالية المختارة، لكل منهم رتبة بمستوى قائد مئة. ومن المهام الأخرى بهم هي انهم كانوا الحرس الشخصي للأمبراطور. كان لهم نفوذ كبير في روما، وأصبحوا في ما بعد الذين يختارون أمبراطور للأمبراطورية الرومانية. وكانوا يتمتعون بإمتيازات خاصة، بما فيها ضعف الراتب ومقرهم في روما. عندما يتقاعدون بعد اثنتي عشر إلى ست عشرة سنة {من العمل}، يُمنحون الجنسية الرومانية وتعويضات ضخمة. كون انه تم تسليم بولس إلى هذا الفوج وكانوا يحرسونه قد يشير هذا إلى الأهمية المعطاة لقضيته من قبل المسؤولين الرومان.

كان المعيار المعمول به عند حراسة بولس هو تغيير النوتية {أي «نوبات» الحراسة} كل ست ساعات. وبهذا سنحت لبولس الرسول الفرصة للتأثير على أربعة من العساكر يومياً. إن كنتُ قد أجريتُ هذا الحساب بطريقة صحيحة، قد تصل المجموع إلى ٢،٩٢٠ فرصة خلال سنتين![٨] لا شك أن الجنود كانوا يعتبرون بولس أسيراً، ولكن هو الذي كان له «جمهور أسرى» إذ كان يقضي أيامه مشغولاً:

- كان يملي بكتابة رسائل، مثل الرسالة إلى أهل فيلبي.
- كان يتحدث مع أصدقاءه، مثل تيموثاوس وأَبَفْرُودِتُسَ (راجع ١: ١؛ ٢: ٢٥).
- كان يعلم الذين يزورونه (راجع أعمال ٢٨: ١٧-٣١).
- كان يصلي ويمجد الله. (راجع فيلبي ١: ٣ و٤؛ أعمال ١٦: ٢٥ ويتحدث عن سجن سابق، ويبين نوع النشاط الذي كان يقوم به عندما كان سجيناً).
- كان يتكلم مع آسريه ويجيب على أسئلتهم (لا يقول النص انه كان يتحدث إلى العسكر، ولكن هل تتصور انه يفوت هذه الفرصة السانحة؟ راجع رومية ١: ١٤-١٦).

لو كان بولس قد ذهب إلى روما كما كان قد خطط لذلك أصلاً، وكرز في ساحة روما العامة، لا يُحْتَمل كثيراً أن الجنود كانوا سيقفون لكي يستمعوا إليه. ولكن بما انهم كانوا معه في السجن ليلاً ونهاراً، فمن الصعب أن يتجاهلوه. الله يعمل بطرق غامضة!

هل أصبح أي من هؤلاء العسكر مسيحياً؟ تقول التقاليد غير الموحى بها أن البعض مهم أصبحوا مسيحيين. على الأقل أصبحوا يعرفون ما كان يمثله بولس. قال بولس أن وثقه «صَارَتْ ظَاهِرَةً فِي الْمَسِيحِ فِي كُلِّ دَارِ الْوِلاَيَةِ ...» (الآية ١٣). عرف الحرس الامبراطوري انه لم يُسجن بسبب جريمة ارتكبها، بل بسبب إيمانه بيسوع.

قال بولس أيضاً أن وثقه صارت ظاهرة في المسيح «... فِي بَاقِي الأَمَاكِنِ أَجْمَعَ» (الآية ١٣). وردت عبارة «ولدى الباقين جميعاً» في ترجمة كتاب الحياة[٩]، بدلاً من «وفِي بَاقِي الأَمَاكِنِ أَجْمَعَ» كما وردت في ترجمة فانديك، الترجمة العربية المألوفة. تشمل

---

[٧] الكتاب المقدس، ترجمة كتاب الحياة. جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٨.

[٨] ربما كان هناك إعادة لبعض الجنود، بدلاً من ٢،٩٢٠ جندياً. كان المعجبون بتعليم بولس من العسكر يطلبون أن يعملوا بنوتيات متناوبة.

[٩] راجع الكتاب المقدس، ترجمة كتاب الحياة. جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٨.

العبارة «الباقين جميعاً» {في ترجمة كتاب الحياة} إلى الناس الآخرين الذين أثر عليهم بولس (ومن بينهم عبد هارب اسمه أونسيموس؛ راجع فليمون ١٠-٢١). كان الخبر ينتشر سريعاً في روما. ربما كان لبولس دور في إهتداء أعضاء أهل بيت قيصر (راجع ٤: ٢٢). كان رسول الله مقيداً، ولكن رسالة الله لم تكن مقيدة (راجع ٢ تيموثاوس ٢: ٩)!

هكذا كان أول مثال عن الكيفية التي تقدم بها الإنجيل نتيجة لقيوده فرصة فريدة لنشر الكلمة. كما ذكرنا سابقاً، قد نشعر باننا «مقيدين بسلاسل» بعدة طرق – ولكن لمعظمنا يأتي «التقييد بسلاسل» بفرص لمشاركة الإنجيل مع الآخرين. عندما كان بولس مقيداً بسلاسل مع العسكر، كانوا هم أيضاً مقيدين معه. هكذا أيضاً ليس المسيحيين «مقيدين» على حالات أقل من المرغوب فيها فحسب، بل عادة ما يكون هناك آخرين أيضاً مقيدين بمثل تلك الحالات – معطياً بذلك فرصة لتغييرهم. قد تشعر الأم بانها مقيدة فى بيت مليء بالأطفال الصغار؛ ولكنها إذا علمت هؤلاء الأطفال بطريق الرب (تثنية ٦: ٧)، من يعرف الخير الذين سيفعلونه في الملكوت؟. قد تشعر المرأة بانها «مقيدة» في زوجها غير المؤمن، ولكن لها الفرصة بان تكون مثالاً جيداً له (راجع ١ بطرس ٣: ١ و٢). قد يشعر العامل أو الموظف بانه «مقيد» بعمل لا يرغب به، ولكن لمعظم الوظائف زملاء في العمل يمكن تعليمهم. الكثير من الناس «مقيدين» على علات جسدية، ولكن قد أستُخدِمَت مثل هذه الظروف لخدمة دعوى المسيح. لقد وجد بعض الذين لهم علة جسدية أن لهم وقتاً لم يكونوا يحصلون عليه بأي طريقة أخرى لخدمة الله ومساعدة الآخرين. أني أعرف إمرأة ما تقضي كل وقتها في البيت بسبب علة جسدية، ولكنها تقضي وقتها بتشجيع الآخرين بإرسال بطاقات {التهنئة والتعزية}، والمكالمات الهاتفية.

تشجيع للمخلصين

قدم بولس مثال ثاني عن الكيفية التي ساعدت بها قيوده تقدم الإنجيل: شجعت المخلصين. كتب قائلاً: «وَأَكْثَرُ الإِخْوَةِ، وَهُمْ وَاثِقُونَ فِي الرَّبِّ بِوُثُقِي، يَجْتَرِئُونَ أَكْثَرَ عَلَى التَّكَلُّمِ بِالْكَلِمَةِ بِلاَ خَوْفٍ» (الآية ١٤). لم ينطبق هذا علىَ الجميع، كما ذكر بولس بعد بضع آيات، ولكنه كان ينطبق على الأغلبية.

كيف شجع سجن بولس الآخرين؟ عندما رأوا كيف كان بولس يتوكل على الرب في الاعتناء به، ربما زاد ذلك ثقتهم بالله. عندما رأوا قناعة بولس الرسول بغض النظر عن اضطراباته، ربما شجعهم هذا لمواجهة ما قد يأتيهم من السخرية. قد يقولون في أنفسهم انه إن كان الله يعمل أشياء عظيمة بواسطة إنسان مقيد بسلاسل، فانه يقدر أيضاً أن يعمل أشياء عظيمة بواسطتهم. ربما جعلتهم محبة بولس أن يزيدوا جهودهم حتى لا يتدهور الإنجيل بينما كان أحد المبشرين الأساسيين محدود الحركة.

وردت بالآية ١٤ كلمة «التَّكَلُّم» بدلاً من «التبشير» («كاروسو κηρύσσω») وتعنيَ اعلان عام، بينما الكلمة المستخدمة هنا (صيغة من صيغ الكلمة «لاليو λαλέω») هي إحدى الكلمات اليونانية العادية التي تعني «يتكلم». يقول المفسرون أن التوكيد هنا لم يكن على الاعلان العام بالإنجيل، بل على مشاركة الإنجيل من يوم إلى آخر من قبل كل مسيحي (راجع أعمال ٨: ١، ٤).

كتب سلسوس وكان منتقداً للمسيحية في وقت مبكر أن «العاملون بالجلود وعمال الأخشاب والاسكافيون المبتذلين من البشر هم مبشرو الإنجيل المتحمسون»[١٠]. قصد سلسوس أن يكون هذا إنتقاد، ولكنه كان ثناء. «وكانت منابر الوعظ {التي يكرزون عندها} هي مناضد التجار ومكتب جمع الضرائب ومقابض آلات الزراعية»[١١]. أعطى سجن بولس للمسيحيين مزيداً من الشجاعة.

رأى بولس التبشير بإنجيل الله (١: ١٥-١٨)

لم يكن على بولس أن يتحمل إذلال السجن فحسب،

---

[١٠] ورد هذا الإقتباس في كتاب أفون مالون بعنوان «Press to the Prize»، صفحة ٣٧.

[١١] المرجع السابق.

بل كان عليه أيضاً أن يتحمل آلام من الإخوة الذين كانوا يحتقرونه ويحاولون إلحاق الأذى به. والغريب في الأمر هو انهم كانوا يحاولون القيام بذلك من خلال التبشير بالمسيح!

> أَمَّا قَوْمٌ فَعَنْ حَسَدٍ وَخِصَامٍ يَكْرِزُونَ بِالْمَسِيحِ، وَأَمَّا قَوْمٌ فَعَنْ مَسَرَّةٍ. فَهؤُلاَءِ عَنْ تَحَزُّبٍ يُنَادُونَ بِالْمَسِيحِ لاَ عَنْ إِخْلاَصٍ، ظَانِّينَ أَنَّهُمْ يُضِيفُونَ إِلَى وُثُقِي ضِيقًا. وَأُولئِكَ عَنْ مَحَبَّةٍ، عَالِمِينَ أَنِّي مَوْضُوعٌ لِحِمَايَةِ الإِنْجِيلِ (الآيات ١٥-١٧).

كان «قوم» من الناس «يَكْرِزُونَ بِالْمَسِيحِ» عن «مَسَرَّةٍ» لبولس «عَنْ مَحَبَّةٍ». وكان الـ«أَكْثَرُ» يفعلون هذا (١: ١٤). كانوا يعبرون عن تقديرهم لبولس وما كان يمثله وما كان يحاول عمله. كانوا يعرفون انه «مَوْضُوعٌ لِحِمَايَةِ الإِنْجِيلِ». الكلمة اليونانية المترجمة هنا إلى «مَوْضُوعٌ» تشير إلى تعيين إلهي. تم تعيين بولس للدفاع عن البشارة بيسوع. مع انه كان سيمتثل بعد وقت قريب أمام محكمة قيصر، لم يكن يهتم بالدفاع عن نفسه؛ بل كان اهتمامه هو بالدفاع عن الإنجيل!

ما لا نستطيع التأكد منه

ولكن بعض الإخوة كانوا يكرزون بالمسيح من دوافع خاطئة متمنين أن يزيدوا من محنة بولس. من كان هؤلاء؟ لم يكن هؤلاء الرجال غير مؤمنين أو اليهود الذين كانوا قد اضطهدوا بولس في الماضي. كان بولس يستخدم كلمة «إخوة» أحياناً للإشارة إلى رفقاءه اليهود، إخوته حسب الجسد (راجع ١: ١٤)؛ ولكن مثل هؤلاء الناس لم يكونوا «يَكْرِزُونَ بِالْمَسِيحِ» (الآية ١٥). ولم يكونوا أيضاً المعلمين المتهودين (أي المسيحيين اليهود الذين كانوا يعلمون بانه ينبغي للمسيحيين أن يحفظوا ناموس موسى حتى يخلصوا. لم يكن بولس سيفرح برسالتهم (راجع غلاطية ١: ٨ و٩؛ ٥: ٢-٤)، ولكنه فرح برسالة الذين ورد ذكرهم في الرسالة إلى أهل فيلبي ١: ١٨. إقرأ هذا النص بإمعان. لم تكن المشكلة في الرسالة، بل في دوافع المبشرين.

لا نعرف يقيناً من الذين كان يقصدهم بولس، ولكنهم ربما كانوا المسيحيين المبشرين في روما. كانت روما من إحدى المدن القليلة التي كانت الكنيسة فيها مؤسسة تماماً عندما وصل بولس إليها {لأول مرة}. وكقاعدة عامة، لم يكن يفضل أن يبني «عَلَى أَسَاسٍ لآخَرَ» (رومية ١٥: ٢٠). ومع ذلك كان له رغبة شديدة منذ وقت طويل أن يذهب إلى روما (رومية ١: ١١-١٥). ربما كانت أحد الأسباب في ذلك هو أنه كان يعرف أن الإنجيل يمكن أن ينتشر من روما إلى جميع أرجاء الأمبراطورية الرومانية.

كان بولس قد كتب قبل خمس سنوات تقريباً[١٢] إلى الكنيسة التي في روما، وذكر في تلك الرسالة أكثر من أربعة وعشرين مسيحي بالاسم (رومية ١٦: ٣-١٦). لا شك أن الكنيسة في تلك المدينة كانت مباركة بعدد من المبشرين المقتدرين بحلول الزمان الذي وصل فيه بولس إلى هناك.

ولكن للأسف، كان البعض منهم لا يريدون بولس. لا نعرف السبب في ذلك. لم يكن جميع الذين في كنيسة روما يشاركونهم في عداوتهم لبولس (راجع أعمال ٢٨: ١٤-١٦). ربما كان هؤلاء المبشرون يحاولون الحصول على سمعة جيدة في الكنيسة هناك وأصيبوا بإحراج بسبب حقيقة أن بولس الرائد {في مجال التبشير} قد وصل إلى المدينة {وإن كان سجيناً}. هذا ومن المحتمل انهم أصيبوا بالغيرة بسب الاهتمام الذي كان يتمتع به بولس. ربما شعروا بان دورهم كقادة هناك كان مهدد.

الجزء الأكثر غرابة في هذا هو أن هؤلاء الرجال ظنوا أن التبشير بالإنجيل يضيف ضيقاً إلى سجن بولس {الآية ١٦}. ربما ظنوا انه كانت لبولس دوافع أنانية كما كانت لهم. لهذا ربما اعتقدوا أنهم إن كانوا أكثر نجاحاً في تبشيرهم مما كان عليه بولس، فان ذلك سيحزنه. احتمال آخر هو أن التبشير الشديد بالإنجيل قد يزعج السلطات الرومانية مما يجعلهم يزيدوا من محنة بولس. إن كانوا يفكرون بهذه الطريقة، كان ينبغي أن يدركوا ان هذا قد

---

[١٢] هذا عند الافتراض أن الرسالة إلى أهل رومية كُتبت في حوالي أوائل ربيع سنة ٥٧م. وبان الرسالة إلى أهل فيلبي كُتبت في وقت قريب من نهاية فترة سجن بولس الأول في روما، أي في حوالي سنة ٦٢م.

يؤثر عليهم أيضاً سلبياً. ولكن ليس للغيرة منطق أبداً.

ما نستطيع التأكد منه

لا نعلم يقيناً من الذين كانوا يكرزون بالمسيح لأسباب خاطئة، أو لماذا كانوا يفعلون ذلك. ولكننا نتعلم من نص درسنا هذا بانه من الممكن أن تكون للشخص دوافع غير سليمة لخدمة الرب. انظر للحظة إلى دوافع الذين كانوا يحاولون إلحاق الضرر ببولس. تقول الآية ١٥ أن البعض كانوا «{عَنْ} حَسَدٍ وَخِصَامٍ يَكْرِزُونَ بِالْمَسِيحِ». من الواضح أن هؤلاء المبشرينَ رأوا أنفسهم في تنافسٍ مع بولس. الحسد والخصام يسيران معاً، وهما دائماً لعنة على الكنيسة.

تقول الآية ١٦ انهم «عَنْ تَحَزُّبٍ يُنَادُونَ بِالْمَسِيحِ لاَ عَنْ إِخْلاَصٍ»[١٣]. الكلمة اليونانيةً التي تُرجمت هنا إلى «تحزب» كانت تعني أصلاً «يخدم بالأجرة». ثم أصبحت تشير فقط إلى الأجرة التي يستفيد منها الشخص وحده. وأخيراً أصبحت ذات صلة بالسياسة: أن يعمل الشخص من أجل الحصول على دعم بأي ثمن، ويصطف الناس «بجانبه».

أتجد صعوبة في تصديق انه كان يوجد هناك مثل هؤلاء المسيحيين في القرن الأول؟ ربما يوجد مثل هؤلاء في يومنا هذا. يمكننا أن نشير بسهولة إلى قصورات الآخرين، ولكن لننظر إلى أنفسنا. هل حدث قط أن دوافعنا للخدمة المسيحية لم تكن صادقة في أي حال من الأحوال. دعنى أقول كلمة أولاً للذين يريدون أن يكونوا مبشرين: التبشير ليس طريقة لكسب «العيش الحسن». لا ينبغي القيام بالتبشير كوسيلة لكسب الاحترام والانتباه، بل هو طريقة لخلاص النفوس وتمجيد الله. سأتحدث أيضاً إلى الذين لا يبشرون. ينبغي لكل منا أن يفحص نفسه لماذا نعمل ما نعمل لدعوى المسيح. هل نقوم بمهام معينة لأننا نريد المدح أو الانتباه؟ هل نتخلى عن العمل إن شعرنا بانه لا أحد «يقدرنا»؟ ليساعدنا الله كي نخدمه «بدوافع سليمة».

كان بإمكان بولس أن يشعر بمرارة. قد يقول: «أصبحتُ سجيناً لأكثر من أربع سنوات الآن، واني أحاول أن أتصرف بأفضل طريقة ممكنة في هذه الحالة التي لا تُطاق. أعلم الناس وأكتب رسائل وأحاول المحافظة على السلوك الجيد. ولكن هوذا الآن إخوتي يحاولون إلحاق الأذى بي! هذا ليس عادلاً!» ولكنه بدلاً من ذلك، قال: «فَمَاذَا؟ غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ سَوَاءٌ كَانَ بِعِلَّةٍ أَمْ بِحَقٍّ يُنَادَى بِالْمَسِيحِ، وَبِهذَا أَنَا أَفْرَحُ. بَلْ سَأَفْرَحُ أَيْضًا» (الآية ١٨). يسمى هذا «واحد من أنبل الكلام تكلم به واحد من أعظم الرجال»[١٤]. لم يكن بولس يهتم بنفسه، بل كان إهتمامه بالإنجيل. لم ينزعج بسبب ما قاله عنه منتقدوه، لكنه فرح أن الإنجيل يتم التبشير به.

في ما يلي تحذيران: أولاً لا يعلمنا النص الوارد في الرسالة إلى أهل فيلبي ١: ١٨ بان دوافع الشخص غير ذات أهمية. لقد اعترفنا في ما سبق بان السبب الذي من أجله نعمل الأشياء هو في غاية الاهمية في نظر الله (راجع ١ كورنثوس ١٣: ١-٣؛ رومية ١٦: ١٧ و١٨؛ ٢ كورنثوس ٩: ٧). ثانياً: ما ورد في الرسالة إلى أهل فيلبي ١: ١٨ لا يشكل سابقة لتوجيه الاتهام إلى الآخرين بان لهم دوافع غير سليمة. نحن غير موحى إلينا، ولسنا مثل بولس. ولا نستطيع التكلم بالسلطان عن دوافع الآخرين. سيكون خير لنا إن فحصنا دوافعنا، ونترك للرب الحكم في دوافع الآخرين (راجع عبرانيين ٤: ١٣؛ رومية ٢: ١٦).

ما الذي يمكن أن نتعلمه مما ورد في الرسالة إلى أهل فيلبي ١: ١٨؟ نتعلم ألا نشغل عقولنا بأفكار هدامة عن سوء معاملتنا. الذين يقضون أوقاتهم في التفكير بسوء معاملتهم هم تعساء. علاوة على ذلك، نتعلم تقدير الخير الذي يعمله الناس، حتى عندما نشك في انهم قد لا يفعلون هذا الخير بدوافع خالصة. علينا أن ننظر إلى ما هو إيجابي في الآخرين وليس إلى ما هو سلبي.

رأى تدبير نعمة الله (١: ١٩ و٢٠)

ماذا رأى بولس أيضاً عندما نظر إلى حالته؟ رأى

---

[١٣] جاء ما ورد في الآية ١٧ قبل ما ورد في الآية ١٦ (أي تبادلا الترتيب) في بعض الترجمات.

[١٤] دي أ هايس، ورد إقتباسه هذا في تفسير جيمس بارتون كوفمان بعنوان: «Commentary on Galatians, Ephesians, Philippians, Colossians»، صفحة ٢٦٩.

الأحداث تبلغ ذروتها بـ«نهاية سعيدة»:

> لأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ هذَا يَؤُولُ لِي إِلَى خَلاَصٍ بِطَلْبَتِكُمْ وَمُؤَازَرَةِ رُوحِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، حَسَبَ انْتِظَارِي وَرَجَائِي أَنِّي لاَ أُخْزَى فِي شَيْءٍ، بَلْ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ كَمَا فِي كُلِّ حِينٍ، كَذلِكَ الآنَ، يَتَعَظَّمُ الْمَسِيحُ فِي جَسَدِي، سَوَاءٌ كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ (الآيَتان ١٩ و٢٠).

في هاتين الآيتين استمر بولس الرسول يخبرنا لماذا كان فرحاً. كلمة «لأني» {الواردة في مقدمة الآية ١٩} تربط الآيتين ١٩ و ٢٠ مع الآية ١٨). تنبض هاتين الآيتين بحدة. قال بولس في الآية ١٩: «لأَنِّي أَعْلَمُ». كلمة «أعلم» هنا ليست الكلمة المعتادة للـ«علم»، بل هي الكلمة التي تدل على «معرفة واثقة»[15]. تشير الآية ٢٠ إلى «انتظار» بولس {أو «توقع» كما ورد في بعض الترجمات}[16]. وقد تُرجمت كلمة «إنتظار» {أو«توقع»} هنا من كلمة يونانية مركبة («أبوكارادوكيا ἀποκαραδοκία»)، وهي تجمع حرف الجر «أبو ἀπό» (أي «بعيداً عن») مع الاسم «كارا κɑρɑ» (أي «رأس») والفعل «دوكيين κɑρɑ» (أي «ينظر»). وتشير هذه الكلمة إلى «نظرة شوق شديد، التي تحول عن أي شيء آخر لتركز على الشيء المرغوب فيه»[17].

خلاص بولس

ركز بولس نظره على كل ما كان يحدث، ورأى نتيجتين جيدتين. الأولى هي إطلاق سراحه: «لأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ هذَا يَؤُولُ لِي إِلَى خَلاَصٍ[18] بِطَلْبَتِكُمْ وَمُؤَازَرَةِ رُوحِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ». الكلمة اليونانية المترجمة هنا إلى «خلاص» هي «سوتِرياس σωτηρία». كلمة «خلاص» هي جزء ضروري جداً من إيماننا وكلمة عزيزة جداً علينا بحيث ننسى انها فارغة بحد ذاتها. يجب أن يوضح السياق الخطر الذي خُلِص منه الشخص. ما الـ«خلاص» الذي كان يقصده بولس؟ ما هي بعض الاحتمالات؟

❋ خلاص من سجن؟ ربما هذا ما كان يقصد، ولكن بولس لم يكن متأكداً من إطلاق سراحه (راجع ٢: ١٧، ٢٣، ٢٤). تبدو العبارة «لأَنِّي أَعْلَمُ» مؤكدة بعض الشيء إن كانت تنطبق على الإفراج عنه فقط.

❋ هل الخلاص من الإفتراء وسوء المعاملة من قبل أعداءه؟ ربما كذلك. استخدم بولس المصطلحات نفسها كما استخدمها أيوب في الترجمة السبعينية للنص الوارد في سفر أيوب ١٣: ١٦.يعتقد الكثير من المفسرين أن بولس اقتبس هنا من أيوب وقصد به ما كان يقصده أيوب: «أَعْلَمُ أَنِّي أَتَبَرَّرُ» (راجع أيوب ١٣: ١٨).

❋ هل الخلاص من الإحراج عندما يقف أمام نيرون؟ ربما هذا يتناسب مع الآية التالية. لا شك أن بولس كان يصلي من أجل المناداة بإيمانه بيسوع عند دفاعه أمام محكمة روما.

❋ هل الخلاص الأبدي؟ كان بولس يؤمن بهذا بكل قلبه (فيلبي ١: ٢٣؛ راجع رومية ٥: ٩).

التفسير الذي أُفضله بصفة شخصية لـ«خلاص» بولس هو ما ورد ذكره أخيراً. كقاعدة عامة، كان بولس يستخدم كلمة «خلاص» للإشارة إلى خلاص من الخطيئة. ربما تشمل كلمة «خلاص» كما استخدمها

---

[15] بات إيدوين هاريل في تفسيره بعنوان «The Letter of Paul to the Philippians» من سلسلة «The Living Word Commentary» تحرير إيفرت فرغوسون، صفحة ٦٨.

[16] راجع الكتاب المقدس – ترجمة كتاب الحياة. جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٨.

[17] وليم باركلي في تفسيره للرسالة إلى أهل فيلبي بعنوان «The Letters to the Philippians, Colossians, and Thessalonians» (الطبعة المنقحة ١٩٧٥)، صفحة ٢٦. ومن التعاريف الأخرى هو «أن يلفت الشخص ويركز انتباهه على شيء أو هدف ما» (ورد هذا الإقتباس في كتاب أفون مالون بعنوان «Press to the Prize»، صفحة ٣٩).

[18] تشير كلمة «خلاص» في هذه الآية إلى تخليصة من السجن، أي «إطلاق سراحه» أو «الإفراج عنه» (راجع الكتاب المقدس – ترجمة كتاب الحياة. جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٨).

بولس هنا إلى مجموعة من الأفكار. مهما حدث لبولس، فسيكون في آخر المطاف «خلاصه».

كان هناك شيئان يساعدان في خلاصه. كان الأول صلوات الفيليبيون: «لأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ هذَا يَؤُولُ لِي إِلَى خَلاَصٍ بِطَلْبَتِكُمْ ...» {فيلبي ١: ١٩}. صلى بولس من أجلهم (١: ٣ و٤)، وهم أيضاً صلوا من أجل بولس (١: ١٩). كان بولس يرغب دائماً بصلوات رفقائه المسيحيين (رومية ١٥: ٣٠-٣٢؛ ٢ كورنثوس ١: ١١؛ ١ تسالونيكي ٥: ٢٥؛ ٢ تسالونيكي ٣: ١ و٢؛ فليمون ٢٢). ينبغي للمسيحيين أن يصلوا من أجل بعضهم البعض.

الشيء الثاني الذي كان سيساهم في ذلك الخلاص هو دعم الروح القدس: «لأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ هذَا يَؤُولُ لِي إِلَى خَلاَصٍ ... {بـ} مُؤَازَرَةِ رُوحِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ». تشير أصل الكلمة اليونانية المترجمة هنا إلى «مُؤَازَرَةِ» إلى دفع مصروفات الجوقة عندما تقيم مدينة اغريقية مهرجاناً. تطلب الحكومة من أي مواطن ثريء أن يعطي تبرعاً سخياً لتغطية نفقات الفنانين. وفي ما بعد فقدت هذه الكلمة علاقتها مع الجوقة، ولكنها حافظت على الفكرة الأساسية للأعطاء بسخاء. «رُوحِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» هو الروح القدس. لقد وعد يسوع بإرسال الروح القدس وقد تمم وعده هذا (يوحنا ١٤: ١٦ و١٧؛ أعمال ١: ٨؛ ٢: ١-٤). ترجم وليم باركلي هذه العبارة على النحو التالي: «العون السخي الذي يقدمه لي روح يسوع القدوس»[١٩].

توقع بولس أن الروح القدس سيدعمه بسخاء – والروح أيضاً يوفر لنا. ننال الروح القدس كعطية عندما نتعمد بالماء ونصبح مسيحيين (أعمال ٢: ٣٨). الروح القدس الساكن في جميع المسيحيين هو مصدر القوة والعون (رومية ٨: ١١-١٣، ٢٦-٢٨). ربما شمل بولس العون من الروح في ما كتب: «فَيَمْلأُ إِلهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (فيلبي ٤: ١٩).

[١٩] وليم باركلي في تفسيره للرسالة إلى أهل فيلبي بعنوان «The Letters to the Philippians, Colossians, and Thessalonians» (الطبعة المنقحة ١٩٧٥، صفحة ٢٤.

تمجيد المسيح

النتيجة الجيدة الثانية التي توقعها بولس هي تمجيد يسوع: «حَسَبَ انْتِظَارِي وَرَجَائِي أَنِّي لاَ أُخْزَى فِي شَيْءٍ، بَلْ بِكُلِّ مُجَاهَرَةٍ كَمَا فِي كُلِّ حِينٍ، كَذلِكَ الآنَ، يَتَعَظَّمُ الْمَسِيحُ فِي جَسَدِي، سَوَاءٌ كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ» (فيلبي ١: ٢٠). ربما قال بولس هذا في توقع مثوله أمام قيصر. كان بولس الرسول على ثقة بانه سيكون جريئاً في القاعة الملوكية {عند مثوله أمام قيصر} – وباتالي «لا يُخْزَى» ويلحق العار بالدعوى التي وضع حياته من أجلها.

كان يؤمن بان كل ما حدث سيؤدي إلى «تعظيم» المسيح أخيراً. الكلمة المترجمة في الآية ٢٠ إلى «تعظيم» قد تعني أيضاً «تمجيد». تذهلنا هذه الفكرة في أول الأمر كشيء غريب. بما أن يسوع «أعظم العظام» فكيف يمكن لبولس أن يعظمه؟ أو كيف نعظمه؟ الإجابة هي «اننا قد نعظمه في أفكار الناس». كما أن العدسة المكبرة تساعد الناس على رؤية الأشياء بأكثر وضوح، هكذا أيضاً تساعد الحياة المركزة على المسيح الناس في أن يروا الرب كما هو حقاً.

كان بولس يؤمن بان المسيح سـ«يتعظم في {جسده}». أجسادنا هي هيكل الله (١ كورنثوس ٦: ١٩) ويجب تكريسها للرب (رومية ١٢: ١). كان بولس يؤمن بان المسيح سـ«يَتَعَظَّمُ ... سَوَاءٌ كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ». أي بعبارة أخرى، سواء بقى حياً أم مات. ولكنه ربما كان يعتقد انه سيُطْلَق سراحه بعد المحاكمة، ولكنه لم يكن عالماً بكل شيء. لقد عقد العزم أن يعظم المسيح مهما كانت النتيجة.

توقع انه سيتجنب الخزي عندما يواجه متهميه فيتعظم الرب. هل كان يخطط لأن يكون له الفضل في تلك النتائج؟ كلا. فان كلمتي «أُخْزَى» و«يَتَعَظَّمُ» وردتا في اللغة الأصلية في صيغة المستقبل المجهول. وتشير صيغة المجهول إلى من {أو ما} وقع عليه الفعل. لم يعتقد بولس انه سيكون المسؤول عن النتيجة المرغوبة؛ بل كان يؤمن أن الله هو المسؤول عن ذلك.

إذا نظرنا إلى الحياة كما نظر إليها بولس، سنؤمن بانه مهما حدث لنا، سيكون الكل على ما يرام. إذا

(تتمة من صفحة ٢٤)
كانت علاقتنا مع الله قويمة وسلوكنا قويم، فان الرب سيضمن أن الكل يعمل من أجل خيرنا (رومية ٨: ٢٨). يا لراحة البال الذي يأتي به لنا هذا!

الخلاصة

استطاعة بولس أن يأخذ «الليمون» ويصنع منها «ليموناضة». هل هذا يساعدني أن أنظرِ إلى الحياة ومشاكلها كما نظر إليها بولس؟ طبعاً بكل تأكيد. عندما كنتُ أعمل على إعداد هذا الدرس، قلتُ لشخصٍ ما: «لديَّ شعور فريد بان بولس يهمس في أذني قائلاً: عليك أن تحسن سلوكك يا روپر!» وعندما انهيته قلتُ في نفسي أن ذلك لم يكن همسة، بل صياح! عليَّ أن أحسن سلوكي. ماذا عنك؟

مذكرة

عندما تستخدم هذا الدرس، أشمل فيه دعوة إلى إطاعة الإنجيل. قد تقول للمستمعين: «لسلوككم نحو الرب أهمية كبرى. هل تحبه وتثق فيه؟ إن كنت تفعل كذلك، هل تعمل مشيئته (يوحنا ١٤: ١٥؛ مرقس ١٦: ١٦)؟».

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠